الحجاج النبوي الشريف : محاجة النبي ـص ـ لعبد الله المخزومي أنموذجا

Argumentation the Holy Prophetic: The argument of the Prophet - May the blessings of Allah be upon him! - with Abdullah al-Makhzoumi as a model

م. كريم طاهر البعاج

جامعة القادسية

Karim Taher Al-Baaj

Qadisiyah University

الكلمات المفتاحية :الحجاج،النبي، المخزومي .

Keywords: Argumentation, the Prophet، Makhzoumi.

الملخص

1- لقد عمد النبي – ص- في صدر المحاجّة إلى تحديد محل النزاع وبيان شروط المحاجّة التي هدفها بلوغ الحق وليس غلبة الخصم .

2- يعدُّ المستوى التحاوري أهم المستويات في العملية الحجاجية، لقد حضر طرفا المحاجّة : المدعي : النبي – ص-، والمعترض : عبد الله المخزومي، واللافت للانتباه أنَّ الحضور الفعال كان للنبي – ص-، وقد تداخل المعترض في أحد عشر موضعاً .

3- إنَّ (بل) من الروابط الحجاجية المهيمنة في المحاجّة النبوية، وهي من الروابط التي تدرج حججاً قوية وقد تكررت في المحاجّة ثماني مرات وبحكم كونها حرف إضراب فقد وظفها النبي – ص- لتفنيد أضاليل معارضه المشرك .

4- إنَّ أسلوب الاستفهام من (المنبهات التعبيرية) التفاعلية المهيمنة في المحاجّة النبوية، وقد تواتر هذا الأسلوب في ثلاثة وثلاثين موضعاً .

5- يعدُّ أسلوب التوكيد منَ العوامل الحجاجية المهيمنة في المحاجّة النبوية، حيث تكررت أداة التوكيد (إنَّ) في سبعة عشر موضعاً لتوكيد الجملة الاسمية ؛ كما تواتر في المحاجّة أسلوب التوكيد بالقصر وتكمن القيمة الحجاجية لهذا الأسلوب في ما يتوفر عليه من بعد حجاجي وتوجيه المتلقي نحو النتيجة الضمنية .

Abstract

1.The Prophet (PBUH)، at the beginning of the argument، baptized to liberate the subject of the dispute and clarify the conditions of the argument aimed at achieving the truth and not the victory of the opponent.

2.The interactive level is the most important level in the argument process. The two parties to the argument were present: the plaintiff: the Prophet، and the objector: Abdullah al-Makhzoumi. It is seems that the active presence was the Prophet، and the objector may overlap in eleven places.

3. Rather, (bla) it is one of the predominant arguments in the prophetic argument، and it is one of the links that make strong arguments، and the argument has been repeated eight times by virtue of being a striking character، as the Prophet employed it to refute the delusions of the polytheist's opposition.

4. The interrogative style is one of the dominant interactive expressive stimuli in the prophetic argument. This method was repeated in thirty-three positions.

5. Emphasis is one of the dominant arguments in the prophetic argument، where the affirmation tool was repeated in seventeen places to emphasize the nominal sentence، and the method of affirmation was repeated in the argument، and the argumentative value of this method resides in what is available to the argumentation and directing the recipients towards the implicit result.

المقدمة :

نقاربُ في هذا البحث محاجّة نبوية التقطناها من تراث أهل البيت – عليهم السلام- ويتضمن البحث بعد هذه المقدمة تعريفاً بالحجاج لغةً واصطلاحاً، تليها محاور البحث الخمسة :

أولاً – تحديد شروط المحاجّة ومحل النزاع .

ثانياً – سياق المحاجّة ومستواها التحاوري .

ثالثاً – الروابط الحجاجية .

رابعاً – المنبهات التعبيرية .

خامساً – العوامل الحجاجية .

لقد حاولت في هذا البحث تحليل متن المحاجّة النبوية وليس مجرد تطبيق مقولات ومصطلحات جاهزة مُسبقاً والتفتيش عن مصاديق لها في المحاجّة النبوية الشريفة، بل عمدتُ إلى التأمل والتدبر فيها، فأهتديتُ إلى معاقد المعاني فيها، وإلى المهيمنات الأسلوبية فيها بوصفها ركائز حجاجية ولا أدعي أني كشفت عن كل ما تتوفر عليه هذه المحاجة النبوية من اكتناز وأبعاد وقيم وعوامل حجاجية، وذلك بسبب طبيعة وشروط النشر التي تقتضي الإيجاز والحمد للهِ الذي بنعمتهِ تتم الصالحات.

الحجاج لغةً :

– قال الجوهري : ((الحجّ : القصد، ورجلٌ محجوجٌ أي مقصود، وقد حجَّ بنو فلانٍ فُلاناً، إذا أطالوا الاختلاف إليه))[1].

– قال ابن فارس: ((حجّ : أصولٌ أربعةٌ : فالأولِ القصد، وكل قصد حجٌّ، ثم اختصّ بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام للنسك (...) والأصل الآخر [الثاني] : الحجّة وهي السَنة (...) والأصل الثالث – الحجاج وهو العظم المستدير حول العين، والأصل الرابع: الحججة : النكوص))[2].

– قال ابن منظور: ((الحجُّ : القصد، حجَّ إلينا فلانٌ أي: قدمَ، وحجَّهُ يحجَّهُ حجاً: قصده، وحججتُ فلاناً واعتمدته أي : قصدته. ورجلٌ محجوجٌ أي مقصود. وقد حجَّ بنو فلان فلاناً إذا أطالوا الاختلاف إليه، (...) أي : يقصدونه ويزورونه))[3].

وإذا حققنا في ما تقدم نجد أَنَّ الأصل الواحد في مادة (ح . ج . ج) هو القصد الملازم للحركة والعمل، وإطالة الإختلاف ؛ فالتركيب حاججتُ فُلاناً يَدلُّ على استمرار القصد مع الحركة والعمل في مقابل الطرف المقابل ؛ وهذه الدلالة هي الاحتجاج والبحث وإدامة المذاكرة .

أمّا المحاجّة فهي زنة (مُفاعَلَة) وهذه الصيغة الصرفية تدل على الدوام والاستمرار[4]، قال الراغب الأصفهاني : ((المحاجّةُ أنْ يطلبَ كلُّ واحدٍ أَنْ يردَّ الآخرَ عن حجَّتِهِ ومحجّته))[5] .

مادة (ح . ج . ج) في القرآن الكريم :

وردت مادة (ح . ج . ج) بمعنى الحِجاج في ثلاثة عشر موضعاً قرآنياً[6] :

* خمسة مواضع بصيغة الفعل الماضي (حاجّ) :

– سورة البقرة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٢٥٨﴾.[7]

– سورة آل عمران ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ٢٠﴾[8] .

– سورة آل عمران ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ٦١﴾ [9] .

– سورة آل عمران ﴿هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٦٦﴾[10] .

– سورة الأنعام ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾[11] .

* ثمانية مواضع بصيغة الفعل المضارع :

– أربعة مواضع بصيغة (تحاجون) :

– سورة البقرة ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾[12] .

– سورة آل عمران ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٥﴾[13] .

– سورة آل عمران ﴿هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٦٦﴾[14] .

–سورة آلانعام ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾[15].

– موضعان بصيغة (يحاجوكم) :

– سورة البقرة ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٦﴾[16].

– سورة آل عمران ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ٧٣﴾[17].

– موضع واحد بصيغة (يحاجون) :

– سورة الشورى ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ١٦﴾[18] .

– موضع واحد بصيغة (يتحاجون) :

– سورة غافر ﴿إِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ٤٧﴾[19] .

الحجاج في الاصطلاح الحديث :

يتعذر تعريف الحجاج تعريفاً جامعاً مانعاً ؛ وجلُّ ما يمكن قوله في تعريفه ؛ أنه يشمل مجموع الوسائل التي تسمح بحيازة أو تقوية انتباه الجمهور إلى الأطروحة أو النظرة إلى الأشياء التي يتبناها المتكلم ؛ وبوصف الحجاج نظرية لأثر الخطاب في المتلقي ؛ فهو مرادفٌ لبلاغة إدراك فن الإقناع . وفي محيط البلاغة القديمة يتحدّد الحجاجُ بالخطابات التي تستهدفُ الإقناع لنزوع التداولية المعاصرة إلى عدِّ كل تبادل تعبيري مشتملاً على بُعد حجاجي .

إنَّ التحليل الحجاجي يُدركُ النص الأدبي بوصفهِ خطاباً لقائل متعدّد الأصواتِ، يوجه أو يحاول الإقناع بواقع معين ؛ ويتميز الحجاجُ بأربعة أنماط :

1- شبه المنطقية .
2- القيام على بنية الواقع .
3- سوق الأمثلة .
4- التفريق بين المفاهيم : (مظاهر / واقع)، (ذاتي / موضوعي)، (وسائل / غايات)[20] .

أولاً – تحرير شروط المحاجّة ومحل النزاع :

ابتعث الله تعالى رسوله محمداً – ص- إلى قومٍ عُرفُوا بالجفاء والخشونة ووعورة الطباع والإعراض عن قبول الحق : طواغيت قريش؛ وقد وصفهم الله تعالى في القرآن الكريم – في غير موضع – بالجدل واللدد ؛ فقال عزَّ مِن قائلٍ : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾[21]، ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ٩٧﴾[22]؛ فأمر الله رسوله الكريم بدعوة قومه ؛ بل الناس كافة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمر الله تعالى رسوله الكريم بمجادلتهم بالتي هي أحسن.

إنَّ الحجاجَ مبني على الخلاف والتنازع؛ وقد يكون أحد الطرفين المتحاجّينِ عنيداً لجوجاً ليس الحق ضالته كهذا المشرك – عبد الله المخزومي – الذي أنكر على الرسول الكريم – ص- الحجج القواطع؛ وحوّل الحجاج إلى لجاج؛ إزاء هذا الوضع عمد الرسول الكريم – ص- إلى تحديد شروط المحاجّة ومحل النزاع؛ لأنَّ هدف المحاج تأمين الانتقال منَ المقدمات إلى النتائج فهو يحتاج إلى تنظيم المحاجّة وحسن إدارتها لئلا يدور الكلام على نفسه ويتعطل استخلاص النتائج[23] .

اللافت أَنَّ الرسول الكريم – ص- كان في هذه المحاجّة محاجّاً بارعاً فمَلكة الحجاج من المَلكات والمواهب النبوية الضرورية لدعوة الناس إلى الإسلامِ، ولمحاجّة المشركين الجاحدين؛ لقد عدَّ ابن وَهَب الكفاءة الحجاجية من أَرقى الكفاءات : ((فقد أجمع العلماء وذوو العقولِ منَ القدماء على تعظيم مَن أفصحَ عن حجتهِ وبيَّنَ حقه، واستنقاص مَن عجزَ عن إيضاح حقهِ وقَصَرَ عن القيام بحجته))[24] ؛ كما في محاولة فرعون الانتقاص مِن قدر نبي الله موسى – ع- : ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ

أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ٥٣﴾[25] ؛ ولذلك نجد نبي الله موسى – ع– في مخاطباته القرآنية يدعو الله تعالى أَنْ يرسلَ معهُ أخاه هرون :

– ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ٣٥﴾[26].

– ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٤﴾[27] .

ولجأ نبي الله موسى – ع– إلى دعاء الله تعالى ليحلَ عُقدة لسانِهِ فلا يكون عيياً ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٨ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي٢٩﴾[28].

أما نبينا محمد – ص– فهو طليق اللسان، عذب البيان، شجاع الجنان، وكيف لا يكون كذلك وهو وآله – ص– أمراء الكلام، فيهم تنبشت عروقه، وعليهم تهدلت غصونه، وهو – ص– أفصح من نطق بالضاد، وهذه المحاجّة هي الدليل على ذلك ؛ فقد عمد النبي – ص– في صدر المحاجة إلى تحديد محل النزاع وبيان شروط المحاجة المنتجة التي هدفها اكتشاف الحق والحقيقة وليس غلبة الخصم أو إفحامه؛ ذلك إن تحديد محل النزاع وتحديد أبعاده هو أهم شرط ينبغي اعتماده قبل الشروع في أي شكل من أشكال الحجاج ؛ وبخلاف ذلك يتعطل التواصل ويتعقد جو المحاجة، وينحرف مسار المحاجة عن جادّة الصواب إلى الخطل والتعصب.

لقد أسس النبي – ص– في هذه المحاجة شروط وآداب المحاجة وتحديد النقطة أو النقاط التي يختلف فيها بالضبط، ذلك أن كل قضية من القضايا يمكن أن تناقش وتقارب من لِحظات مختلفة، وزوايا متعددة فإذا لم يتفق طرفا المحاجة على مساحة الحجاج ومعاييره أنسد أفق الحوار وتعطلت المحاجة[29].

لقد حرص النبي – ص– على ضبط مسار الجدل وذلك بمعيارين : المعيار الأخلاقي والمعيار الموضوعي، لقد رفض النبي – ص– مقترحات المشرك عبد الله المخزومي :

أ– اقتراح المحال[*] الذي لا يصح [أي لا يصح الاحتجاج به] ولا يجوز كونه [لأن الأنبياء – عليهم السلام– لا يقترحون على الله المحال ؛ بل لا أحد يقترح على الله أي شيء].

((ورسول رب العالمين يعرفك ذلك، ويقطع معاذيرك، ويضيق عليك سبيل مخالفته [وذلك بتحديده لمعايير المحاجة ومحل النزاع]، ويلجئك بحجج الله إلى تصديقه حتى لا يكون لك عنه محيد ولا محيص))[30] .

((يا عبد الله وأما قولك : ((أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً يقابلوننا ونعاينهم)) فإن هذا من المحال الذي لا خفاء به، إنّ ربنا عزّ وجل ليس كالمخلوقين يجيء ويذهب، ويتحرك ويقابل شيئاً حتى يؤتى به، فقد سألتم بهذا المحال، وإنما هذا الذي دعوت إليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم شيئاً ولا عن أحد))[31] .

ب– اقتراح عمل الصعب الذي لا حجة فيه، واقتراح ما لوجاء به الله تعالى لكان معه هلاك المشركين : ((فإنك اقترحت على محمد رسول الله أشياء : منها لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوته، ورسول الله يرتفع عن أن يغتنم جهل الجاهلين، ويحتج عليهم بما لا حجة فيه، ومنها ما لو جاءك به لكان معه هلاكك، وإنما يؤتى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الإيمان بها، لا ليهلكوا بها، فإنما اقترحت هلاكك، ورب العالمين أرحم بعباده، وأعلم بمصالحهم من أن يهلكهم كما يقترحون))[32] .

لقد أنكر الرسول الأعظم – ص– على محاجه المشرك وعلى المشركين اقتراحهم عليه أشياء لو كانت ووقعت لم تكن حجة : ((فما بال اقتراحكم على رسول الله أشياء، لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه، بل لو تعاطاها لدل تعاطيه إياها على كذبه، لأنه حينئذ يحتج بما لا حجة فيه، ويختدع الضعفاء عن عقولهم وأديانهم ورسول رب العالمين يجل ويرتفع عن هذا))[33] .

وقد حدد الرسول – ص– مهمته بدقة والتزم بها التزاماً تاماً وهي إقامة الحجة وليس يلزمه العمل بمقترحات الجهال المشركين الذين قادهم جهلهم إلى التخبط والضلال ذلك بطلب المحال مرة، واقتراح الصعب الذي لا حجة فيه أو المتضاد والمتناقض الذي يستحيل وقوعه عقلاً مرة أخرى، لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ؛ لقد عجب الرسول – ص– من مقترحات المشركين : ((ما أبعد ربي عن أن يفعل الأشياء على [قدر] ما يقترحه الجهال [!] بما يجوز وما لا يجوز وهل كنت إلا بشرا رسولاً، لا يلزمني إلا إقامة حجة الله التي أعطاني، وليس أنْ أمر على ربي ولا أنهى ولا أَشير))[34].

وقد أسس الرسول – ص– المرجعيات الحجاجية التي ينبغي على الأطراف المتحاجة الاحتكام إليها، فليس للمدعى عليه اقتراح الحجج بحسب مزاجه وهواه، لاسيما إذا كانت هذه المقترحات مجافية للعقل والمنطق كاقتراح وقوع المحال أو الصعب الذي لا حجة فيه، أو المتناقض يسأل الرسول – ص– محاجه المشرك: ((فمتى رأيت – يا عبد الله – مدعي حق قبل رجل أوجب عليه حاكم مِن حكامهم – فيما مضى – بينة على دعواه على حسب اقتراح المدعى عليه ؟ إذن، ما كان يثبت لأحد على أحد دعوى ولا حق، ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا صادق من كاذب فرق))[35] .

ثانياً – سياق المحاجّة ومستواها التحاوري :

للسياق مستويان : المستوى اللساني أو اللغوي، ومستوى الموقف أو المقام الذي يحيط بالكلمة أو الجملة أو الخطاب فسياق المقام يعني المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه أو المتلقي وتشتمل السياق الثقافي وخبرات كل منهما، ويمكن إجمال المقومات أو العناصر المؤثرة في السياق : بالمشاركين في الخطاب، الإطار الزمكاني، الغاية من الخطاب[36] .

والخلاصة إن السياق نص كامل لا تتوضح فكرة أو إطروحة واردة فيه إلا بالرجوع إليه كاملاً أي إلى ما تقدم الفكرة أو الإطروحة وما لحق بها[37] .

إن المتن الذي نقاربه هو محاجّة الرسول الأعظم – ص– للمشركين ((وذلك أن رسول الله [صلى الله عليه وآله] كان قاعداً ذات يوم بمكة بفناء الكعبة إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم : الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبو البحتري بن هشام وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل السهمي، وعبد الله بن أمية المخزومي، وكان معهم جمع ممن يليهم كثير، ورسول الله صلى الله عليه وآله في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ويؤدي إليهم عن الله أمره ونهيه . فقال المشركون بعضهم لبعض : لقد استفحل أمر محمد [صلى الله عليه وآله وسلم] وعظم خطبه فتعالوا نبدأ بتقريعه وتبكيته وتوبيخه، والاحتجاج عليه، وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على

أصحابه، ويصغر قدره عندهم، فلعله ينزع عما هو فيه من غيه وباطله وتمرده وطغيانه [؟!] فإنْ انتهى وإلا عاملناه بالسيف الباتر . قال أبو جهل فمن [ذا] الذي يلي كلامه ومجادلته ؟ قال عبد الله بن أمية المخزومي : أنا إلى ذلك، أفما ترضاني له قرناً حسيبا، ومجادلاً كفياً ؟ قال أبو جهل : بلى))[38] .

يتوفر المقتبس المتقدم على العناصر الثلاثة الضرورية للسياق :

1- المشاركون في المحاجّة :

أ- المدعي وهو الرسول الأعظم – ص- .

ب- المعترضون وهم المشركون .

2- الإطار الزمكاني :

أ- الزمان .

ب- المكان .

لمقاربة المحاجّة النبوية مقاربة تداولية يَنبغي الالتفات إلى التداول أو التحاور بين : المتكلم أو المحاج – النبي صلى الله عليه وسلم –، والمخَاطب : عبد الله المخزومي ؛ وقد اهتمت التداولية الحديثة اهتماماً كبيراً بعنصري : المتكلم والمخاطب، فالخطاب موجّه من وإلى أحد الطرفين فليس من الممكن فهم الخطاب من دون استحضار صاحبه وكذا الموجّه إليه ذلك الخطاب[39] .

ويمكن تفصيل العناصر الثلاثة للمحاجّة النبوية كما يأتي :

1- المشاركون في المحاجّة :

أ- المُدعي : وهو النبي – ص- :

إنَّ كلام النبي – ص- بيانٌ وصمته لسان ((أرسله [الله تعالى] بوجوب الحُجج، وظهور الفَلج، وإيضاح المنهج، فبلغَ الرسالة صادعاً بها، وَحَمل على المحجّة دالاً عليها، وأقامَ أعلام الاهتداء، ومنارَ الضياءِ، وجعَلَ أمراس الإسلام متينةً، وعُرا الإيمانِ وثيقةً))[40] .

ب- المعترضون : وهم المشركون من قريش والناطق باسمهم عبد الله بن أمية المخزومي.

2- الإطار الزمكاني :

أ- الزمان :

ذات سنة من السنوات الأوائل المبكرة في الدعوة الإسلامية .

ب- المكان :

تتوفر هذه المحاجة على مشهدية استثنائية بامتياز فهي من جهة المشاركين تضم أشرف الأنبياء والمرسلين، ومن جهة المكان جرت هذه المحاجّة في أشرف بقعة على وجه البسيطة : فناء الكعبة .

في هذه المحاجة برز الإيمان كله ممثلاً بشخص الرسول الكريم إلى الشرك والكفر كله ممثلاً بطواغيت قريش .

الغاية من الخطاب أو المحاجّة :

لقد ابتعث الله عزّ وجل رسوله بالنور المضيء، والبرهان الجلي، والمنهاج البادي، والكتاب الهادي يدعو الناس إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن بالحجة البينة وبالرفق .

أما المشركون فهم لا يطلبون الحق ولا ينشدون الحقيقة في محاجّتهم للنبي فقد قال قائلهم : ((لقد استفحل أمر محمد [ص] وعظم خطبه فتعالوا نبدأ بتقريعه وتبكيته وتوبيخه، والاحتجاج عليه، وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه، ويصغر قدره عندهم، فلعله ينزع عما هو فيه من غيه وباطله وتمرده وطغيانه [؟!]، فإن أنتهى وإلا عاملناه بالسيف الباتر))[41] .

إنَّ المستوى التحاوري هو أَهم المستويات في العملية الحجاجية والتداولية، لقد حضر طرفا المحاجّة :

– المدعي : النبيّ – ص– .

– المعترض : عبد الله المخزومي .

بيدَ أَنَّ الحضور الفعال كانَ للنبي – ص– ؛ وكان ثمة تفاعلاً وتواصلاً بين الطرفين، فنحنُ هنا إزاء حالة تواصل بين الطرفينِ وليسَ اتصالاً من طرف واحد ؛ وبدا النبيّ – ص– حريصاً على السماح لمحاورهِ بالمداخلةِ في أحد عشر موضعاً ؛ واللافت أَنّ النبي – ص– كان يسأل محاوره : هل بقي من كلامه شيءٌ ؟ في ثلاثة مواضع .

وكانَ النبي – ص– معنياً بسوق الحجج والبراهين لإقناع محاوره ؛ وقد تواترت مفردات (الحقل الدلالي للحجاج) في محاجّة النبي – ص– فقد تكررت مفردة (حجّة) سبع عشرة مرّة ؛ كما تكررت مفردتا : (براهين)، (بينة) .

واللافت للانتباه أيضاً أَنَّ النبي – ص– كان ينهض بعبء التدليل، بيد أَنَّ محاوره المشرك يكتفي بالتشكيك فقط ؛ فهذه المحاجّة (محاورة نقدية لا تناظرية) وفي هذا الضرب من المحاورات لا يكون المتحاوران على الدرجة نفسها من الالتزام، فالطرف الأوّل : النبي –ص– يتبنى دعوى، بينما الطرف الثاني : المشرك عبد الله المخزومي يكتفي بالتشكيك فقط في دعوى النبي – ص– ؛ ويعترض على الحجج والبراهين التي ساقها النبي – ص– إليه، وفي هذه الحالة يكون الالتزام بين الطرفين المتحاورين مُتسماً بالتعارض الأخف[42] .

كان النبي – ص– يعلمُ أَنّه يحاور مُشركاً مُتعنتاً لا ينشد الحق والحقيقة وقد صرح عبد الله بن أُمية المخزومي بذلك فقد طلب المُحال من النبي – ص– ثم أعقب هذا المشرك ما تقدم بقوله : ((ثم لا أدري – يا محمد – إذا فعلت هذا كله أأُمن بك أو لا أُمِنُ بكَ، بل لو رفعتنا إلى السماء، وفتحت أبوابَها وادخلتناها لقلنا : إنما سُكِرتْ أبصارنا وسحرتنا))[43] .

لقد أجاب هذا المشرك على أسئلة النبي – ص– ذات الشحنة الحجاجية بالإيجاب ؛ باستعمال حرف الإيجاب (بلى) في بضعة مواضع وهي مختصة بإيجاب النفي ولا يُجاب بها وبغيرها من حروف الإيجاب استفهام إلا إذا كان بالحرف وهو : الهمزة، هل[44] .

وقد تضمنَ القرآن الكريم إشارات إلى مقترحات مشركي مكة لمعجزات هي من قبيل المُحال :

- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾[45]، أي : أئتنا يا محمد – ص– بقرآنٍ ليس فيه سب آلهتنا – آلهة المشركين –، أو بَدِل هذا القرآن بأَنْ تجعل مكان آية العذاب آية الرحمة، وليس فيه ذكر آلهتنا ؛ فأمر الله تعالى نبيه – ص– أَنْ يجيبهم على تبديل القرآن ؛ وطوى الجواب عن الاختراع، ووجّه الزمخشري ذلك بأَنَّ التبديل في إمكان البشر، بخلاف الاختراع، فإنّهُ ليس في المقدور، فطوى ذكره، للتنبيه على أنه سؤال محال ؛ ويرى الزركشي : أنه لما كان التبديل أسهل من الاختراع، وقد نفى الله تعالى إمكان التبديل، كانَ الاختراع غير مقدور عليه من طريق أولى[46] .

- ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ٩٣﴾[47]، في الآية الكريمة الاولى دلالة على أَنَّ المشركين كانوا على شبهة لأَنَّ العارف بالله لا يقول هذا، لأَنَّ المقابلة لا تجوز على الله تعالى، وليس للمشركين استعمال المقابلة على معنى آيات الله تعالى ؛ إذ لا دليل على ذلك فلا يشترط الظاهر ما ليس فيه لأنه لم يثبت معرفتهم وحكمتهم فينصرف ذلك على الظاهر فلذلك أجابهم الله تعالى بقوله : ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ٩٣﴾[48] لأَنَّ المعنى الذي يقترحون منَ الآيات ليس أمرها إلي – أي إلى الرسول – وإنما هي إلى الذي هو أعلم بالتدبير مني وما ينصبه من الدليل فلا وجه لطلبكم هذا مني ؛ ولا يلزم إظهار المعجزات بحسب اقتراح المقترحين لأنه لو لزم ذلك للزم في كل حال لكل مكلفٍ[49] .

ثالثاً – الروابط الحجاجّية :

إن الروابط هي من المؤشرات الحجاجية التي تَسند معنى من المعاني إلى مقولات المتكلم ؛ وبوساطتها يوجه المتكلم دفة الحجاج بدءاً وختاماً، والرابط الحجاجي هو الذي يربط بي ملفوظين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة .[50]

لقد حاولت التداولية أن تقارب الحجاج بوصفه فعلاً تداولياً، لا يمكن تفسيره من دون إبراز مراتب المتكلمين وأدوارهم في أفعال الكلام، وأهمية السياق التخاطبي، كما قاربت التداولية الروابط الحجاجية بوصفها أدوات تسهم في تحديد العلاقة الخطابية بين المتكلمين[51] .

ويُحدّ الرابط Connecture بكونه : ((كل لفظ يُمكّن من ربط قضيتين أو جملتين أو أكثر لتكوين قضايا وجمل مركبة))[52] .

- بل :

بل حرف إضراب، فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب إما الابطال وإما الانتقال من غرض إلى آخر[53] . ومعنى الإضراب : جعل الحكم الأول، موجباً كان أو غير موجب كالمسكوت عنه بالنسبة إلى المعطوف عليه[54] .

وهي – بل – من الروابط التي تدرج حججاً قوية ؛ وقد تكررت في محاجّة النبي – ص– ثماني مرات وذلك لتفنيد وإبطال أوهام ومزاعم وأضاليل محاجه المشرك عبد الله بن أمية .

يعمد النبي – ص– إلى ما يعرف في الاصطلاح الحديث بـ (الحجّة المقوّمة) وهي دليل يأخذ بالفعالية التخاطبية في تعلقها بالمتكلم والمستمع معاً أي دليل يعمل وفقاً لمبدأ ((التفاعل الخطابي))[55] ؛ يزعم هذا المشرك المعاند عبد الله بن أمية المخزومي أنه لو كان محمد – ص– نبياً لكان معه مَلَك يشهد له بصدقه : ((لو أرادَ الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنما يبعث ملكاً لا بشراً مثلنا، فالمَلَك لا تشاهده حواسكم، لأنه من جنس هذا الهواء، لا عيان منه، ولو شاهدتموه – بأن يزاد في قوى أبصاركم – لقلتم : ليس هذا مَلكاً، بل هذا بشراً))[56] .

يُفند النبي – ص– زعم المشركين بأن الله تعالى لا يبتعث إلا مَلَكاً بأن المَلَك لا تشاهده حواس المشركين لأنه من جنس الهواء ؛ ثم يبسط النبي – ص– محاجته للمشركين : لو شاهدتم هذا المَلك الذي زعمتم أن الله ينبغي أن يبعثه إليكم – بأن يزاد في قوى أبصاركم – لقلتم : ليس هذا مَلَكاً بل هذا بشراً .

ثم يتدرج النبي في محاجته للمشركين مخاطبا لهم على قدر عقولهم المحدودة فأبلغ في حجاجه ورد على المشرك في لجاجه فنزل إلى مقامات افتراضية فلو أن الله تعالى ابتعث مَلكاً فكيف يتسنى لهؤلاء المشركين اختبار صدق الملك الذي هو مخلوق غريب عليهم : ((فكيف كنتم تعلمون صدق المَلَك وأنّ ما يقوله حق ؟ بل إنما بعث الله بشراً، وأظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذي قد علمتم ضمائر قلوبهم))[57].

لقد حاج النبي – ص– المشركين بحجج مستمدة من واقعهم ؛ فكانت محاجته واقعية ؛ حيث عمد – ص– إلى توظيف الحجج التداولية وهي حجج ناجعة عندما يعمد الطرف المعترض – المشركون – إلى التشكيك بأمر ما ؛ إذ إن أساس الإيمان هو التسليم لحكم الله، لقد بيَّنَ النبي – ص– أنّ التدبير الإلهي لا يجري حسب مقترحات المشركين ؛ بل الله تعالى يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء أحد غيره وهو محمود على كل فعاله ؛ لقد ورد ذلك بتوظيف (بل) حجاجيا في موضعين:

– ((بل إنْ قالوا ذلك كانوا على ربِّهم رادين، وله في أحكامه منازعين، وبه كافرين))[58].

– ((ثم أنزل الله تعالى عليه : ﴿يا محمد قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[59] يعني آكل الطعام ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[60]، يعني قل لهم : أنا في البشرية مثلكم، ولكن ربي خصني بالنبوة دونكم، كما يخص بعض البشر بالغناء[الغنى] والصحة والجمال دون بعض البشر، فلا تنكروا أن يخصني أيضاً بالنبوة))[61] .

في هذا المقطع يُفحم المشركون : فليس النبي إلا بشراً خصه الله تعالى بالرسالة والحجج المساقة هنا حجج قوية أدرجت بالرابط (لكن) وهي حجج مبينة للواقع تستند إلى الجمع بين أشياء مترابطة عن طريق (المقارنة) وهي تقنية حجاجية وعملية تجريبية منشدّة إلى عملية بناء الواقع[62] .

– ((فإنَ الله له التدبير والحكم لا يفعل على ظنك وحسبانك، ولا باقتراحك، بل يفعل ما يشاء، ويحكم ما يُريد))[63].

وتعد قضية المال والثروة من القضايا المهمة في أفكار المشركين بسبب تعلقهم بالدنيا وتكالبهم عليها، وقبالة ذلك حاجهم النبي – ص– بأن الله لا يستعظم حطام الدنيا :

– ((فإنّ الله تعالى ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت، ولا خطر له عنده كما [له] عندك، بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضة لما سقى كافراً به، مخالفاً له شربة ماء))[64] .

وعمد النبي – ص– إلى إبطال كون قسمة رحمة الله للمشرك عبد الله بن أمية المخزومي :

– ((وليس قسمة رحمة الله إليك، بل الله [هو] القاسم للرحمات، والفاعل لما يشاء في عبيده وإمائه))[65] .

وبعد أن فرغ النبي –ص– من تأكيد أن الله تعالى هو القاسم للرحمات، وأن هذه القسمة تكون وفقاً لمبدأ العدالة الإلهية فهو لا يؤخر إلا المتباطئين عن طاعته ؛ أما المال فهو فضل منه تعالى : ((وكذلك لا يؤخر في مراتب الدين وجلاله إلا أشدهم تباطؤا عن طاعته، وإذا كان هذا صفته لم ينظر إلى مال ولا إلى حال بل هذا المال والحال من تفضله، وليس لأحد من عباده عليه ضربة لازب))[66] .

في هذا المقطع ومقاطع أخرى تتواتر وتتظافر الروابط الحجاجية وأدوات الاستفهام والتنبيه والتوكيد: (ألا) تكررت مرتين وهو رابط توكيد والرابط (لأن) ثلاث مرات، والأداة (هلا) وتكررت خمس مّرات وهي أداة تخصيص (طلب بشدة) تختص بالدخول على الفعل[67] .

كما تكرر حرف التفصيل (إمّا) ثلاث مرات وهو حرف تفصيل غير عامل واجب التكرار[68] .

وهذه المحاجّة النبوية التي تتوفر على هذا التظافر الأسلوبي والتنويع في الروابط الحجاجية والتوكيدية وأساليب التنبيه والانتقال المنطقي متجانسة تماماً في جملها ومقاطعها وتخلصاتها .

رابعاً – المنبهات التعبيرية :

– أسلوب الاستفهام :

إنَّ أسلوب طرح سؤال معلوم الإجابة على المخاطب لغرض إجابته عنه ؛ يؤدي إلى إلزامه بما سيترتب على هذه الإجابة ؛ إنَّ هذا الأسلوب أسلوب ناجع لإقامة الحجة على الخصم ؛ وهو أسلوب مهيمن في هذه المحاجّة النبوية ؛ إذ يعمد الرسول – عبر هذا الأسلوب – إلى إلزام محاوره المشرك بما ألزم به نفسه في الإجابة.

إنَّ أسلوب الاستفهام النبوي – في هذه المحاجّة – يشتغل وفقاً لما يُعرف في أَدبيات الحجاج بـ (قاعدة التشكك) التي تقتضي جعل المخاطب يختار بنفسه ؛ فيتجنب المتكلم – حسب هذه القاعدة – أساليب التقرير كأَنَّهُ شاكٌ في مقاصده ؛ بحيث يترك للمخاطب حرية الإجابات[69] .

إنَّ أسلوب الاستفهام منَ الأساليب التفاعلية المهيمنة في هذه المحاجّة النبويّة إذ ورد في ثلاثة وثلاثين موضعاً :

1– همزة الاستفهام :

يطلب بالهمزة أحد أمرين : تصور أو تصديق :

أ– فالتصور هو إدراك المفرد نحو : أمحمد مسافرٌ أم علي ؟ .

ب– تدل همزة الاستفهام على التصديق إذا أريد بها النسبة أي الاسناد ويكثر التصديق في الجملة الفعلية نحو: أجاء عليٌ ؟[70] .

وقد تكررت (همزة الاستفهام) في المحاجّة النبوية ست عشرة مرة جميعها جاءت للتصديق[71] :

1- أليس كانت الرسالة تضيع ؟ والأمور تتباطأ ؟

2- أ وترى الملوك إذا احتجبوا كيف يجري الفساد ؟

3- أ تظنون أن رجلاً يعتصم طول هذه المدة بحول نفسه وقوته ؟

4- أرأيت الطائف ؟ التي لك فيها بساتين ؟

5- أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة ؟

6- أ فصرت بذلك أنت وهم أنبياء ؟

7- أو ليس لأصحابك ولك جنات من نخيل وعنب بالطائف تأكلون وتطعمون منها، وتفجرون الأنهار خلالها تفجيراً ؟ أفصرتم أنبياء بهذا ؟ .

- قال : لا

8- أو ليس لك ضياع وجنان بالطائف وعقار بمكة وقوّام عليها ؟ .

- قال : بلى .

9- أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك ؟ أو بسفراء بينم وبين معامليك ؟ .

- قال : بسفرائي .

10- أريت لو قال معاملوك وأكرتك ... ؟ .

- قال : لا .

11- أليس أن يأتوهم عنك بعلامة ... ؟ .

- قال : بلى ؟

12- أرايت سفيرك لو أنه لما سمع منهم هذا ... ؟

13- أليس يكون لك مخالفاً ... ؟

- قال : بلى .

14- أما بلغك أن لعزيز مصر بيوتاً من زخرف ؟ .

- قال : بلى .

15- أفصار بذلك نبياً ؟

- قال : لا .

2- كيف :

((وأما كيف فإنها سؤال عن حقيقة الحال وتصوّره))[72]، وقد تكررت في المحاجّة النبوية الشريفة إحدى عشرة مرّة[73] :

- ألا ترى أنّ الله تعالى – كيف أفقر بعضاً وأغنى بعضاً ؟

– أو ترى الملوك إذا احتجبوا كيف يجري الفساد ؟ .
– فكيف كنتم تعلمون صدق الملك وأَنَّ ما يقوله حقٌّ ؟ .
– فكيف أكون كذلك، وقد تعلمون أني في صحة التمييز والعقل فوّقكم ؟ .
– إلا ترى – يا عبد الله – كيف أغنى واحداً وقبح صورته ؟ .
– وكيف حَسَنَ صورة واحد وأفقره ؟ .
– وكيف شرفَ واحداً وأفقره ؟ .
– وكيف أغنى واحداً ووضعه ؟ .
– فكيف صرت تقترح على رسول ربَّ العالمين ما لا تسوغ لأكرتك ومعامليك أنْ يقترحوه على رسولك إليهم ؟ .
– وكيف أردتَ من رسول رب العالمين أنْ يستذم إلى ربه، بأن يأمر عليه وينهى ؟ وأنت لا تسوّغ مثل هذا لرسولك إلى أكرتك وقوامك ؟ .

3– هل :

يطلب بها التصديق فقط أي معرفة وقوع النسبة – أي الإسناد – أو عدم وقوعها لا غير[74]، وقد تكررت (هل) في المحاجة النبوية أربع مرات[75] :

– فهل جربتم عليَّ منذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة جريرة أو زلة أو كذبة أو خيانة أو خطأ من القول، أو سفهاً من الرأي ؟ .
– هل لك في هذا نظراء ؟ .
– هل رأيت – يا عبد الله – طبيباً كان دواؤه للمرضى على حسب اقتراحاتهم ؟ .
– وهل كنت إلا بشراً رسولاً، لا يلزمني إلا إقامة حجة الله التي أعطاني ؟ .

4– ما :

وهي من أدوات الاستفهام الموضوعة للتصور ومعنى ذلك أنها موضوعة للسؤال عن الماهية الحاصلة في الذهن من غير أَنْ يضاف إليها حكم منَ الأحكام[76]، وقد تكررت ثلاث مرات[77] :

– ما لهذا الملك ؟ .
– فما بال اقتراحكم على رسول الله أشياء، لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه؟
– فما الذي يجب على سفرائك ؟ .

خامساً – العوامل الحجاجية :

– أسلوب التوكيد :

1– التوكيد بـ (إنّ) :

تدخل (إنّ) (المكسورة الهمزة أو المفتوحة الهمزة) على الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر فتنقلها من جملة خبرية من الضرب الابتدائي تُلقى إلى خالي الذهن ؛ إلى جملة خبرية مؤكدة تُلقى إلى متلقٍ متردد أو شاكٍ في الخبر، فإضافة أدوات التوكيد في صدر الجملة تنقل الدلالة من المستوى العادي إلى مستوى أعمق في تأكيد الدلالة، كما تحقق هذه الزيادة في حجم البنية التلاؤم بين المستويين الدلالي للكلام وحالة المتلقي[78] .

لقد أفاض شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في بيان المفعول الأسلوبي والأثر الدلالي لـ (إنّ)، فعقد لها فصلاً : ((وإنما تحتاج إليها [إنّ] إذا كان [أي المخاطب] له ظنٌ في الخلاف [أي خلاف الخبر] وعَقْدُ قَلْبٍ على نفي ما تثبت أو إثبات ما تنفي . ولذلك تراها تزداد حسناً إذا كان الخبر بأمر يبعدُ مثله في الظن ولشيء قد جرت عادة الناس بخلافه))[79]؛ ويلمع الشيخ إلى فائدة أخرى في (إنّ) ((هذا وفي (إنّ) هذه شيءٌ آخر يوجب الحاجة إليها، وهي أنها تتولى من ربط الجملة بما قبلها))[80] .

لقد عمِد النبي – ص– إلى انتقاء الجملة الاسمية المصدرة بأداة التوكيد (إنَّ) في سبعة عشر موضعاً[81]:

– فإنّ الله له التدبير والحكم .
– وأنّه هو الناصر .
– وأنّ ذلك شهادة .
– أنّ الطيور التي تطير .
– أنَّ رجلاً يعتصم .
– فإن الله تعالى ليس يستعظم مال الدنيا .
– فإنك اقترحت على محمد .
– أنك فيه معاند .
– فإنك سألت .
– فإنك قلت .
– فإن في سقوط السماء .
– فإن هذا المحال .
– إنّ ربنا عزّ وجلّ .
– لو أنه لما سمع منهم .
– فإنهم قد اقترحوا .
– بأنك لا تؤمن .
– بأنك تُعاند .

2- أسلوب القصر : (التوكيد المضاعف)

إنّ أسلوب القصر بمنزلة توكيدين أو توكيد مضاعف ؛ يقول السكاكي : ((إنّ قصر الصفة على الموصوف وبالعكس ليس إلا تأكيد للحكم على تأكيد))[82] ؛ تكمن أهمية أسلوب القصر وقيمته الحجاجية العالية في ما يتوفر عليه من بعد حجاجي أعمق وأنجع في التوجيه نحو النتيجة الضمنية[83] .

بيد أنه ينبغي الإشارة إلى أن ثمة فرق بين أسلوب القصر بـ (إنما) ؛ وأسلوب القصر بالنفي والاستثناء ؛ إذ إن الأسلوب الأخير هو الأقوى في توكيد المعنى، كما أن لكل منهما مقام يختلف عن مقام الآخر : ((أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما) و(إلا) [أي النفي والاستثناء] يصلح فيه (إنّما) أعلم أنّ موضوع (إنما) على أَن تجيء لخبر لا يجهله المخاطَب ولا يدفع صحَّته، أو لما ينزَّل هذه المنزلة))[84].

لقد مزج النبي – ص– في محاجته بين أسلوبي القصر ؛ وتدرج في توكيد مضامين محاجته لهذا المشرك فقد استعمل أسلوب القصر لتوجيه المتلقي لهذه المحاجة نحو النتيجة الضمنية .

أ- أسلوب القصر بـ (إنّما) :

((اعلم أنها [إنما] تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره))[85]؛ تعدّ (إنما) أداة توكيد رقيقة بخلاف أسلوب القصر بالنفي والاستثناء الذي يتسم بشيء من الحِدة[86] .

– توكيد الابتعاث الإلهي للنبي –ص– :

إن النبوة أصل من أصول الإسلام ؛ بيد أن هذا المشرك – عبد الله بن أمية المخزومي – أنكر أن يصطفي الله تعالى بشراً رسولاً ؛ زاعماً أنّ النبي ينبغي أن يكون مَلكاً لا بشراً ؛ لقد عبّر النبي – ص– عن مزاعم هذا المشرك :

– إنما يبعث مَلكاً لا بشراً، وبيِّن النبي –ص– أن أمر ابتعاث النبي أمر إلهي : ((فإنما الأمر لله)) .

ثم أكد النبي –ص– حقيقة الاصطفاء الإلهي فهو تعالى يصطفي الأصلح والأمثل بحسب معايير العدل الإلهي والحكمة الإلهية :[87]

– إنما يبعث الله .

– إنما بعثني الله .

– إنما كان يظهر لكم .

– إنما بعث الله بشراً .

– وإنما معاملته بالعدل .

في هذه النماذج تُفيد (إنما) إيجاب أي إثبات فعل الابتعاث الإلهي للنبي ؛ ونفيه – أي الابتعاث – عن غيره وبذلك يتضح أثر أسلوب القصر بـ (إنما) في توجيه المتلقي نحو النتيجة الضمنية لمضمون كلام المُرسل – النبي – ص– وهي هنا ضرورة الاعتراف بنبوة النبي محمد – ص– وقبول دعوته من قبل هذا المشرك – عبد الله المخزومي – وبقية المشركين، بل قبول دعوته – ص– من الناس كافة .

ولفت شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني إلى ما يتوفر عليه التوكيد بـ (إنما) من تعريض : ((ثم اعلم أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب، إذا كان لا يُراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه))[88] ؛ والنماذج الآتية من محاجة النبي – ص– مصداق لما يتوفر عليه أسلوب القصر بـ (إنما) من تعريض بجحود وتعنت هذا المشرك عبد الله المخزومي[89] :

– فإنما اقترحت هلاكك .

– فإنما تريد بهذا .

– وإنما هذا الذي دعوت إليه .

– إنما أنت رسول .

ب– أسلوب التوكيد الأقوى : القصر بالنفي والاستثناء :

لقد عمِد النبي – ص– في محاجته إلى أسلوب التوكيد الأقوى وهو أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في ثمانية مواضع[90] ؛ وذلك لتوكيد المعاني المحورية أو الأساسية وتوزع ذلك بين كلام مباشر وغير مباشر :

– التسليم لله : وأنتم العبيد وليس لكم إلا التسليم لي .

– اصطفاء النبي وتفريعات على ذلك الاصطفاء : يعترض هذا المشرك على اصطفاء النبي – ص– ويقايس مقايسة خاطئة :

– إنّ هذا ملك الروم وملك فارس لا يبعثان رسولاً إلا كثير المال .

ثم يرمي هذا المشرك المتعنت النبي – ص– بالسحر :

– ما أنتَ إلاّ رجلاً مسحورا .

ويرد النبي – ص– بأن الله تعالى إنما يؤثر الأفضل في طاعته ؛ ويؤخر الأشد تباطؤاً في طاعته: ((فلا يؤثر بأفضلِ مراتبِ الدين وجلاله إلا الأفضل في طاعته . لا يؤخر في مراتب الدين وجلاله إلا أشدهم تباطؤاً في طاعته))[91] .

ثم يخلص النبي – ص– إلى نتيجة مهمة تتماهى مع القرآن الكريم : ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا93﴾ [92] .

– لا يلزمني إلا إقامة حجة الله .

لغرض بيان المفعول الأسلوبي الحجاجي الذي يتوفر عليه أسلوب القصر بالنفي والاستثناء نعقد هذه المقارنة بين الجملة في حالة خلوها من هذا الأسلوب ؛ وذات الجملة وهي مؤكدة بأسلوب القصر :

– لكم التسليم ليس لكم إلا التسليم .

– أنا بشر رسولهل كنتُ إلا بشرا رسولا .

– يلزمني إقامة الحجة . لا يلزمني إلا إقامة الحجة .

– ففي كل مثنى من هذه الجمل ليس ثمة فرق بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي ؛ بيد أن الذي يتأثر بهذا التغيير في بنية الجملة هو قيمتها الحجاجية، أو الإمكانات الحجاجية التي تتيحها[93]، فالجملة وهي خالية من أسلوب القصر تتوفر على إمكانات حجاجية كثيرة ؛ في حين تتقلص هذه الإمكانات الحجاجية إلى ممكن واحد هو الذي وقع عليه الاختصاص والحصر بـ (إلا) .

من كل ما تقدم نخلص إلى القول : إنَّ الحِجاج يعتمد أساساً أو أكثر من الأسس الثلاثة الآتية :

– الأسس البلاغية .

– الأسس المنطقية .

– الأسس التداولية[94] .

فلنرَ نصيب كل من هذه الأسس الثلاثة في المحاجّة النبوية ؛ على المستوى البلاغي، إنَّ النبي – ص– أفصح مَن نطق بالضاد، آتاه الله جوامع الكلم، وأسلوبه في هذه المحاجّة النبوية هو (أسلوب السهل الممتنع) .

أما على المستوى التداولي للمحاجّة النبوية فقد راعى النبي – ص– كون المشرك المعترض – أي الطرف الآخر – كونه جاهلاً، لا يملك أية خلفية معرفية لذلك خاطبه النبي –ص– على قدر عقله المحدود؛ ففي المستوى المنطقي للمحاجّة لم يستعمل النبي –ص– الاستدلال المنطقي كالبرهان؛ بل استمد أمثلته وحججه ووقائعه من صميم ثقافة المجتمع المشرك الذي ينتمي إليه ذلك المشرك المعترض؛ وبسبب ذلك جاء الحجاج النبوي مرناً، متدرجاً.

لقد جمع الحجاج النبوي بين الإبداع والإقناع ؛ إبداع البيان الذي يحرك العاطفة، وإقناع الحجّة البالغة التي تنير العقل ((وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنّه يراها رأي العين))[95] .

ويتجلى ذلك في النماذج الآتية :[96]

– أرأيتَ الطائف ... ؟

– أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة ؟

– هل لك في هذا نظراء ؟

– أفصرت بذلك أنت وهم أنبياء ؟

– أو ليس لأصحابك ولك جنات ؟

– أفصرتم أنبياء بهذا ؟

– أوليس لك ضياع وجِنان ؟

– افتشاهد جميع أحوالها بنفسك ؟

– أرأيتَ لو قال معاملوك ... ؟

– أو كان يجوز لهم ؟

– فما الذي يجب على سفرائك ؟

– أليس أنْ يأتوهم عنكَ بعلامة ؟

– أرأيت سفيرك ؟

– أليس يكون لك مخالفاً ؟

إنَّ الملحظ التداولي اللافت في المحاجّة النبويّة أَنَّ النبي –ص– حاجّ محاوره المشرك بالتي هي أحسن : باللطف والوِد، فقد سمّاه في ثمانية عشر موضعاً ؛ إنَّ مراعاة التعامل الأخلاقي في عملية التواصل الإنساني تدخل في اهتمامات التداولية فيما يصطلح عليه بـ (قاعدة التودد) التي توجب على المتكلم أَنْ يُعامل المخاطب معاملة الند، فيستعمل المتكلم الأساليب والصيغ اللغوية التي تقوي علاقات الصداقة بين المتكلم والمخاطب مثل استعمال الاسم والكنية واللقب، فيأنس المُخاطب بذلك ويطمئن إلى ما يبديه المتكلم من ثقة وعناية[97].

الهوامش:

(1) تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الرابعة ، 1407 هـ – 1987م ، دار العلم للملايين : مادة (ح . ج . ج) .

(2) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، 1399 هـ – 1979م، دار الفكر : مادة (ح . ج . ج) .

(3) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الإفريقي ، الطبعة الثالثة ، 1414 هـ ، دار صادر ، بيروت ، مادة : (ح . ج . ج) .

(4) يُنظر : التحقيق في كلمات القرآن ، الشيخ حسن المصطفوي ، الطبعة الأولى ، 1417 هـ ، وزارة الثقافة والإرشاد ، طهران : 2/ 169 .

(5) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، راجعه وقدم له وائل أحمد عبد الرحمن ، د.ت ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر : 115.

(6) يُنظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، د . ت ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان : مادة (ح . ج . ج) .

(7) سورة البقرة : 258 .

(8) سورة آل عمران : 20 .

(9) سورة آل عمران : 61 .

(10) سورة آل عمران : 66 .

(11) سورة الأنعام : 80 .

(12) سورة البقرة : 139 .

(13) سورة آل عمران : 65 .

(14) سورة آل عمران : 66 .

(15) سورة الأنعام : 80 .

(16) سورة البقرة : 76 .

[17] سورة آل عمران : 73 .

[18] سورة الشورى : 16 .

[19] سورة غافر : 47 .

[20] يُنظر : مُعجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر ، سعيد علّوش ، مراجعة د. كيان أحمد حازم يحيى ، د. حسن الطالب ، الطبعة الأولى ، 2019 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبيبا – بنغازي : 82 ، 83 ، 84 .

[21] سورة الزخرف : 58 .

[22] سورة مريم : 97 (مقطع) .

[23] يُنظر : بحث بعنوان : بلاغة الجدل في مصنفات النقد الأدبي ، عبد الله البهلول ، ضمن مجلة عالم الفكر ، المجلد 41 ، أبريل ، 2013م : 173 .

[24] البرهان في وجوه البيان ، ابن وهب الكاتب ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، نشر بمساعدة جامعة بغداد ، 1967م : 224 .

[25] سورة الزخرف : 52 – 53 .

[26] سورة القصص : 35 .

[27] سورة الشعراء : 14 .

[28] سورة طه : 26 – 29 .

[29] يُنظر : الحوار والانفتاح على الآخر ، حسن بن موسى الصفار ، الطبعة الثانية ، 2012 ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي : 72 .

[*] المَحَالُ : ((ما يمتنع وجوده في الخارج كاجتماع الحركة والسكون في جزء واحد)) . التعريفات ، السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني ، وضع حواشيه وفهارسه ، محمد باسل عيُون السّود ، الطبعة الثالثة ، 2009م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان : 204 .

[30] تفسير الإمام العسكري ، المنسوب إلى الإمام العسكري ، محمول على قرص مدمج (D.V.D) موسوم بـ (مكتبة أهل البيت – عليهم السلام–) ، الإصدار الثاني ، 1433 هـ – 2012م ، مركز المصطفى للدراسات الإسلامية ، برعاية المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني : 508 .

[31] المصدر السابق نفسه : 510 ، 511 .

[32] المصدر السابق نفسه : 508 .

[33] المصدر السابق نفسه : 509 .

[34] المصدر السابق نفسه : 512 .

[35] المصدر السابق نفسه : 510 .

[36] يُنظر : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، دومينيك مانغونو ، ترجمة محمد بحياتن ، الطبعة الأولى ، 1428 هـ – 2008م ، منشورات الاختلاف ، الجزائر : 28 .

[37] يُنظر : معجم المصطلحات الأدبية ، بول آرون وآخرون ، ترجمة د. محمد حمود ، الطبعة الأولى ، 1433 هـ – 2012م ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان : 622 .

[38] تفسير الإمام العسكري : 501 .

[39] يُنظر : البحث في اللساني والسيميائي ، الدلاليات والتداوليات ، طه عبد الرحمن ، ط1 ، 1995 ، المغرب : 302.

[40] نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب ، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية ، د. صبحي الصالح ، ط1 ، 1983، دار الكتاب اللبناني : 140 – 141 .

[41] تفسير الإمام العسكري – ع – : 501 .

[42] يُنظر : الحجاج والمغالطة ، رشيد الراضي ، الطبعة الأولى ، 2010 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ليبيا – بنغازي : 116 .

[43] تفسير الإمام العسكري : 503 .

[44] يُنظر : شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الأستراباذي ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ، 1398 هـ – 1978م، جامعة قاريونس : 4/ 428 – 429 .

[45] سورة يونس : 44 .

[46] ينظر : البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي محمول على قرص مدمج (D.V.D) موسوم بـ (مكتبة أهل البيت) – عليهم السلام – ، الإصدار الثاني ، 1433 هـ – 2012 م ، مركز المصطفى للدراسات الإسلامية ، برعاية المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني : 4/ 46 .

[47] سورة الإسراء : 92–93 .

[48] سورة الإسراء : 93 (مقطع) .

[49] يُنظر : متشابه القرآن ومختلفه ، ابن شهرآ شوب ، محمول على قرص مدمج (D.V.D) موسوم بـ (مكتبة أهل البيت) – عليهم السلام – ، الإصدار الثاني ، 1433 هـ – 2012م ، مركز المصطفى للدراسات الإسلامية : 2/ 9 .

[50] يُنظر : اللغة والحجاج ، أبو بكر العزاوي ، الطبعة الأولى ، 1426 هـ – 2006 م ، الدار البيضاء : 30 .

[51] يُنظر : بحث بعنوان الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ، د. رضوان الرقبي ، ضمن مجلة عالم الفكر ، مجلد 40 ، ديسمبر 2011 : 87 .

[52] التداولية اليوم ، علم جديد للتواصل ، آن ريول ، جاك موشلار ، ترجمة سيف الدين دغفوس ، محمد الشيباني ، ط1، 2003 ، دار الطليعة ، بيروت : 265 .

[53] ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، د . ت ، ودون ذكر لمكان الطبع : 1/ 112 .

[54] يُنظر : شرح الرضي على الكافية : 4/ 416 – 417 .

[55] يُنظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، ط1 ، 1998 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت : 265 .

[56] تفسير الإمام العسكري : 505 .

[57] المصدر نفسه : 505 .

[58] المصدر نفسه : 504 .

[59] سورة الكهف : 110 (مقطع) .

[60] سورة الكهف : 110 (مقطع) .

[61] تفسير الإمام العسكري : 504 .

[62] يُنظر : الحجاج في الشعر العربي القديم ، سامية الدريدي ، ط1 ، 2006 ، عالم الكتاب الحديث ، إربد ، الأردن : 48 .

[63] تفسير الإمام العسكري : 505 .

[64] المصدر السابق نفسه : 506 .

[65] المصدر السابق نفسه : 506 .

[66] المصدر السابق نفسه : 507 .

[67] يُنظر : المعجم الوافي في النحو العربي ، صنّفه د. علي توفيق الحمد ، يوسف جميل الزعبي ، الطبعة الأولى ، 1992م ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، مصراتة : 344 .

[68] يُنظر : المرجع السابق نفسه : 71 .

[69] يُنظر : اللسان والميزان : 241 .

[70] ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيّد أحمد الهاشمي ، الطبعة الرابعة ، 1428 هـ – 2008م، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان : 95 – 97 (بتصرف) .

[71] تفسير الإمام العسكري : 505 ، 506 ، 509 ، 511 .

[72] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي ، 1914 م ، مطبعة المقتطف بمصر : 3/ 288 .

[73] تفسير الإمام العسكري : 504 ، 505 ، 507 ، 511 .

[74] يُنظر : جواهر البلاغة : 97 .

[75] تفسير الإمام العسكري : 506 ، 509 ، 510 ، 512 .

[76] يُنظر : الطراز : 3/ 288 .

[77] تفسير الإمام العسكري : 508 ، 509 ، 511 .

[78] ينظر : في البنية والدلالة (رؤية لنظام العلاقات في العربية) ، د. سعد أبو الرضا ، 1987م ، دار المعارف ، الإسكندرية : 91 – 92 .

[79] دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، 1413 هـ – 1992م ، شركة القُدس للنشر والتوزيع : 319 .

[80] المصدر السابق : 319 .

[81] تفسير الإمام العسكري : 505 ، 506 ، 508 ، 509 ، 510 ، 511 ، 512 .

[82] مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ، ط1 ، 1983 ، دار الكتب العلمية ، بيروت : 291 .

[83] يُنظر : البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة ، عبد الله صولة ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، ط1 ، 2010 ، عالم الكتب الحديث ، إربد : 34/1 .

[84] دلائل الإعجاز : 329 – 330 .

[85] دلائل الإعجاز : 335 .

[86] يُنظر : دلالات التراكيب ، د. محمد أبو موسى ، ط1 ، 1979م ، القاهرة : 110 – 111 .

[87] تفسير الإمام العسكري : 505 ، 507 .

[88] دلائل الإعجاز : 334 .

[89] تفسير الإمام العسكري : 508 ، 510 ، 511 .

[90] المصدر السابق : 504 ، 505 ، 506 ، 507 .

[91] تفسير الإمام العسكري : 507 .

[92] سورة الإسراء : 93

[93] يُنظر : تجليات الحجاج في القرآن الكريم ، سورة يوسف أنموذجاً ، حياة دحمان ، رسالة ماجستير 2012م – 2013م، كلية الآداب واللغات ، جامعة الحاج لخضر ، الجزائر : 78 .

[94] يُنظر : حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (ع) ، د. الزماني كمال ، الطبعة الأولى ، 2016، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن : 42 .

[95] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، طه عبد الرحمن ، ط4 ، 2000م ، المركز الثقافي العربي : 38 .

[96] تفسير الإمام العسكري : 509 ، 511 .

[97] يُنظر : اللسان والميزان : 241 .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ، د. رضوان الرقبي ، ضمن مجلة عالم الفكر ، مجلد 40 ، ديسمبر 2011 .
- البحث في اللساني والسيميائي ، الدلاليات والتداوليات ، طه عبد الرحمن ، ط1 ، 1995 ، المغرب.
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي محمول على قرص مدمج (D.V.D) موسوم بـ (مكتبة أهل البيت) – عليهم السلام – ، الإصدار الثاني ، 1433 هـ – 2012 م ، مركز المصطفى للدراسات الإسلامية ، برعاية المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني .
- البرهان في وجوده البيان ، ابن وهب الكاتب ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، نشر بمساعدة جامعة بغداد ، 1967م .
- بلاغة الجدل في مصنفات النقد الأدبي ، عبد الله البهلول ، ضمن مجلة عالم الفكر ، المجلد 41، أبريل ، 2013م .
- البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة ، عبد الله صولة ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، ط1 ، 2010 ، عالم الكتب الحديث ، إربد .
- تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الرابعة ، 1407 هـ – 1987م ، دار العلم للملايين .
- تجليات الحجاج في القرآن الكريم ، سورة يوسف أنموذجاً ، حياة دحمان ، رسالة ماجستير 2012م – 2013م ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الحاج لخضر ، الجزائر .
- التحقيق في كلمات القرآن ، الشيخ حسن المصصفوي ، الطبعة الأولى ، 1417 هـ ، وزارة الثقافة والإرشاد ، طهران .
- التداولية اليوم ، علم جديد للتواصل ، آن ريول ، جاك موشلار ، ترجمة سيف الدين دغفوس ، محمد الشيباني ، ط1 ، 2003 ، دار الطليعة ، بيروت .

- التعريفات ، السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني ، وضع حواشيه وفهارسه ، محمد باسل عيُون السّود ، الطبعة الثالثة ، 2009م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
- تفسير الإمام العسكري ، المنسوب إلى الإمام العسكري ، محمول على قرص مدمج (D.V.D) موسوم بـ (مكتبة أهل البيت – عليهم السلام–) ، الإصدار الثاني ، 1433 هـ – 2012م ، مركز المصطفى للدراسات الإسلامية ، برعاية المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيّد أحمد الهاشمي ، الطبعة الرابعة ، 1428 هـ – 2008م ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان .
- الحجاج والمغالطة ، رشيد الراضي ، الطبعة الأولى ، 2010 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ليبيا – بنغازي .
- حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (ع) ، د. الزماني كمال ، الطبعة الأولى ، 2016 ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن .
- الحوار والانفتاح على الآخر ، حسن بن موسى الصفار ، الطبعة الثانية ، 2012 ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي .
- دلالات التراكيب ، د. محمد أبو موسى ، ط1 ، 1979م ، القاهرة .
- دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، 1413 هـ – 1992م ، شركة القُدس للنشر والتوزيع .
- شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الأستراباذي ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ، 1398 هـ – 1978م ، جامعة قاريونس .
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي، 1914 م ، مطبعة المقتطف بمصر .
- في البنية والدلالة (رؤية لنظام العلاقات في العربية) ، د. سعد أبو الرضا ، 1987م ، دار المعارف ، الإسكندرية .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الإفريقي ، الطبعة الثالثة ، 1414 هـ ، دار صادر ، بيروت .
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، ط1 ، 1998 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، بيروت .
- متشابه القرآن ومختلفه ، ابن شهرآ شوب ، محمول على قرص مدمج (D.V.D) موسوم بـ (مكتبة أهل البيت) – عليهم السلام – ، الإصدار الثاني ، 1433 هـ – 2012م ، مركز المصطفى للدراسات الإسلامية .

- معجم المصطلحات الأدبية ، بول آرون وآخرون ، ترجمة د. محمد حمود ، الطبعة الأولى ، 1433 هـ – 2012م ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، د . ت ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- المعجم الوافي في النحو العربي ، صنّفه د. علي توفيق الحمد ، يوسف جميل الزعبي ، الطبعة الأولى ، 1992م ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، مصراتة .
- مُعجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر ، سعيد علّوش ، مراجعة د. كيان أحمد حازم يحيى ، د. حسن الطالب ، الطبعة الأولى ، 2019 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبيبا – بنغازي .
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، 1399 هـ – 1979م ، دار الفكر .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، د . ت ، ودون ذكر لمكان الطبع.
- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ، ط1 ، 1983 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، راجعه وقدم له وائل أحمد عبد الرحمن ، د.ت ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر .
- نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب ، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية ، د. صبحي الصالح ، ط1 ، 1983 ، دار الكتاب اللبناني .